

التعددية الدينية والثقافية وإمكانيات التفاهم والانقسام: (التجربة الأمريكية)

■ دوغلاس ليونارد

في صباح 11 سبتمبر 2001 حضرتُ لقاء صباحياً في الكنيسة البروتستانتية والتي يدرس بها الطلاب في نيويورك، وكنت أعمل كمساعد الكاهن بالكنيسة، ووصل الكاهن المسؤول عن الكنيسة الدكتور Rev.Arthur Caliendo متأخراً إلى اللقاء، وبنظرة فضولية على محياه دخل إلى قاعة اللقاء، وقال: «لم أر مثل هذا قط؛ كنت في طريقي إلى الكنيسة على طول الشارع رقم 5 وإذا بطائرة تمر فوق رأسي»، وقلنا جميعاً بأنها غادرت، وبعد لحظات أقبل سكرتير وهو يجري إلى اللقاء وقال: «لقد اصطدمت طائرة بمركز التجارة العالمي. ونظراً لكوننا اعتقدنا أن الاصطدام كان عفوياً ولم نعرف حجم الخسائر، رفعنا اللقاء وصلينا للربان، والمسافرين وأي واحد

■ باحث من أمريكا.

يمكن أن يكون قد مات في الحادث. أنهينا لقاءنا واجتمعنا في الشارع رقم 6 حيث يمكن لنا رؤية البرجين بوضوح، وبعد ذلك اصطدمت الثانية بالبرج، ووقفنا مذهولين ونحن ننظر إلى الخط الذي رسمته الطائرتان في جانب أحد الأبراج والدخان يصعد من جانب البرج الآخر، وعلمنا في هذه اللحظة أننا ضحايا هجوم إرهابي، وبدأ الناس يهربون من المدينة في حشود خوفاً من هجومات أخرى، وقررنا البقاء وقمنا أنا وكهنة الكنيسة بارتداء ملابسنا، وفتحنا الكنيسة للصلاة. وخلال اليوم تحرك الآلاف من الناس شمالاً عبر الشارع رقم 5 مثل الأموات الذين تمّ إحيائهم من جديد وهم يرتدون بذلات رجال الأعمال الغالية وهي مغطاة برفات رمادي. جاء البروتستانتيون والكاثوليكيون إلى الكنيسة من أجل الصلاة، كما أن اللادينيين جاءوا للبحث عن الأجوبة. فقدّ العديد من أفراد الكنسية أزواجهم وأولادهم وبناتهم في هذه المأساة، وكنت أنا والدكتور Caliendo والكهنة الآخرون نعطي دروساً أسبوعية لمواساة أفراد الكنيسة في أهاليهم، وختمنا السنة بخدمات تذكارية بالقرب من الحفرة التي أحدثها الانفجار، والتي صارت قبراً عمومياً للضحايا. غير حدث الحادي عشر من سبتمبر حياتنا، ولكن ليس بالشكل الذي تتخيلونه، فقد سألتني أحد المصلين: «أين كان الله في الحادي عشر من سبتمبر؟» في الأسابيع التي تلت الحادث، لم تصر نيويورك مدينة يسود فيها القلق والرغبة في الانتقام؛ بل صارت مدينة الرحمة. وأؤمن أن الله كان في الصلاة العفوية التي جمعت الآلاف من الناس في المأرب المركزي لأداء صلوات المساء، ورفع الشموع ترحماً على أرواح الضحايا. وأؤمن أن الله كان في قلوب الحشود التي شكلت صفوفاً في مجموعة من المدن للتبرع بالدم للضحايا، وأؤمن أن الله كان في قلوب الناس وهم يحمون جيرانهم المسلمين، ويؤكدون أن الضرر لن يعم الكل.



أصبح الأمريكيون أكثر يقظة، وأقل سذاجة؛ لكن لم يزد إحساس الكراهية في قلوبنا، فأحداث الحادي عشر من سبتمبر جعلتنا نعي بوجود المسلمين الأمريكيين، ودفعت الأمة إلى تعلم الإسلام، ولكن لم تؤد إلى التفرقة كما يمكن أن يتوقع المرء. في المقابل، أدى الوعي المتزايد إلى تألف عظيم بين المسيحيين والمسلمين واليهود. وإذا كان الإعلام قد ركز على وقائع معينة وظرفية تجسد الكراهية للإسلام؛ فهناك آلاف الوقائع التي لم يتم الحديث عنها، والتي تعكس نوعاً من حسن النية، وتجسد مفهوم التضامن.

يعدّ سكان نيويورك والأمريكيين بصفة عامة من أشد المدافعين ببسالة عن التعددية الدينية والإثنية، فالتعددية الدينية ميزتنا وهي في أصولنا، وهي تعكس من نحن، والمسيحيون كلهم سيقولون: إننا مرشدون بأمر عيسى: «فليحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم» (إنجيل جون 13: 34). بل كانت نيويورك مدينة التعدد الديني لأزيد من 350 سنة، والكنيسة التي عملت فيها ككاهن - الكنيسة البروتستانتية في أمريكا - أسست في جزيرة مناهتن سنة 1628 من طرف التجار الألمان الذين قدموا إلى الجزيرة لتجارة الفرو مع قبيلة Manah Atin التي توجد بـ Wappinger الهندية. والأرشيفات الموجودة في كنيستنا تتحدث عن وجود تعايش بين الكاثوليكين الرومانيين، واليهود، والبروتستانتين، والمسلمين في مدينة نيويورك منذ القرن السابع عشر. وبعض الملاحين الذين يقودون السفن التجارية إلى ميناء نيويورك كانوا مسلمين، كما كانت الغالبية من التجار الذين عملوا بالمدينة، ورغم ما قد يكون أوجده الإعلام من انطباع بشأن شعور سكان نيويورك تجاه المسلمين، فإن الاعتداء الإرهابي في الحادي عشر من سبتمبر لم يؤثر على حب نيويورك للمواطنين المسلمين، وفي الحقيقة، إنه قد قوى إيمان أمتنا بالتعددية الدينية.

يتحدث Gustav Niebuhr في كتاب بعنوان: (أكثر من التسامح: البحث عن التفاهم الديني بين الأديان في أمريكا) عن تزايد التعددية الدينية في

أمريكا بعد الحادي عشر من سبتمبر، وكان Niebuhr يعمل كمراسل صحفي بجريدة نيويورك تايمز في سبتمبر 2001. وقد خلص هو وزملاؤه الصحفيين بالجريدة إلى وجود حركة ارتجاعية عنيفة للمسيحيين، واليهود، والعلمانيين الأمريكيين ضد الإسلام. وبعد تقصي البحث في ربوع الدولة عن حقيقة هذه القصص، تفاجأ هو وزملاؤه الصحفيون كثيراً بحيث لم يقفوا إلا على ستة حوادث للعنف ضد المسلمين في الأسابيع التي تلت الحادي عشر من سبتمبر.

تحدث إحدى القصص عن الرجل المجنون والجاهل الذي أطلق النار على رجل جاء إلى محطة Chevron للوقود بأرزونا، حيث كان الوافد ذا لحية طويلة وتربان، واعتقد الرجل أنه مسلم، وقد اهتم الإعلام بهذه الأحداث الستة كثيراً؛ لكي يراها العالم، ويخلق انطباعاً خاطئاً لدى العامة بأن أحداث العنف هذه تعكس الإحساس الحقيقي الأمريكي؛ ولكن ليس ذلك صحيحاً. وقد تحسّر Niebuhr بعد ذلك؛ لكونه هو والإعلام الأمريكي غضوا الطرف عمّا هو أهم؛ إذ أن الشيء الذي لم يتم ذكره إبان الحادي عشر من سبتمبر هو اهتمام الآلاف من الكنائس المسيحية وتنظيمها لدوريات من أجل الاهتمام بالمساجد المجاورة وحمايتها ضد أعمال العنف، وقد وجد المسلمون باقات أزهار أمام مداخل المساجد مرفقة بكتابات تحمل مشاعر الحب والصدقة. وفي مدن Seattle وشيكاغو ونيويورك وصل مسؤولو الكنائس إلى أماكن المساجد وعبروا عن مشاعر الصداقة للمسلمين، كما قدّموا لهم الحماية والمساعدة. والنساء المسيحيات والعلمانيات في كل أرجاء البلاد ارتدوا أوشحة الرأس للتعبير عن تضامنهن مع النساء المسلمات، والقصة الأمريكية المجسدة للسلام والتعاون بين الأديان لم تكن بغاية الأهمية للإعلام. لم توظف أحاسيسهم. وقد كتب Neibuhr كتاب: أكثر من التسامح: البحث عن التفاهم الديني بين الأديان في أمريكا من أجل أن يقول الحقيقة.



في سنة 2004 قامت المنظمة العالمية للتعايش بين الأديان - عضو الأمم المتحدة - ومنظمة الديانات من أجل السلام بإحصاء عدد المنظمات في الولايات المتحدة التي شكلت من أجل الجمع بين الناس بغض النظر عن انتمائهم الديني من أجل الإسهام في تحقيق المصلحة العامة للمجتمع، وقد وقفوا على حقيقة كون 1,000 من هذه المنظمات أُسست بعد الحادي عشر من سبتمبر.

تعكس تجربتي الشخصية هذا التعايش السلمي والتعاون بين الأديان في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي السنة الموالية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر عملت ككاهن في الكنيسة البروتستانتية بحاضرة Cortland ورئيس جمعية التعايش بين الأديان في ولاية نيويورك، وقد عملت مجموعة من بيوت العبادة بما في ذلك المساجد الشيعية والسُّنِّيَّة، والكنائس الرومانية الكاثوليكية، والكنائس الأوكرانية والروسية الأرثوذكسية، والكنائس البروتستانتية بأمريكا، والكنائس الإنجليكانية، والكنائس الميثودية/المنهجية واليهودية جميعاً من أجل تحقيق المصلحة العامة، وقد أقمنا مأوى يضم 19 فرداً كانوا دون مأوى، وقدمنا حوالي 30,000 وجبة في خلال سنة لفقراء مدينة Peekskill، وتكلفنا ببرنامج ديني للصلاة وتقديم الدعم الروحي للمرضى وللذين هم في حالة موت بمستشفى حاضرة Hudson، وقمنا بالصلاة جميعاً احتفالاً بذكرى موت مارتين لوثر كنج وعيد الشكر، ووقفنا وقفة تضامن في أوقات الشدة.

في ربيع 2006 قام شابان مشاغابان بتدنيس قدسية كنيسة يهودية في منطقتنا، ورسوموا رموز نازية على جدران الكنيسة، وتبولوا على لفيفة من كتاب الله المقدس التوراة، وخرّبوا الكراسي وحرّقوا الزرابي، وكنا مندهشين وانتابنا شعور الكآبة بسبب هذا التخريب؛ ولكن كتعبير عن

الحب الذي يجب أن يسود بين الناس، وقف زعماء مساجد الشيعة والسُّنَّة معنا تعبيراً عن مساندتنا لجيراننا اليهود، وقد تطوع أفراد بيوتنا التبعية المتعددة بتقديم المساعدة لإعادة بناء الكنيسة.

في السنة نفسها، اشترت مجموعة من السُّنَّيين الفلسطينيين مدرسة كاثوليكية في مدينتنا وطلبوا ترخيصاً لتحويلها لمسجد. وتم رفض طلبهم في البداية لأسباب غير منطقية، وازدادت نسبة حركة المرور بالحاضرة نتيجة رفض هذا الطلب، وقد بحث رجال الدين والزعماء الدينيين في أسباب هذا الرفض؛ فالمبنى عندما كان مدرسة كاثوليكية كانت الآلاف من السيارات والحافلات تتكدس بجانب. وعندما صار مسجداً أصبحت السيارات قليلة، تأتي في كل جمعة وفي الأعياد الدينية الإسلامية.

طبيعة الدين المسيحي تفرض علينا احترام كل الناس، والسماع لمختلف الآراء، والتعاون مع الذين يبحثون عن السلام

وتحدث رجال الدين، والربابنة اليهوديون، والأئمة الأورثوذكسيون، والأئمة الرومانيون الكاثوليكيون والكهنة المسيحيون البروتستانتيون من مئة منطقة وطلبوا من إدارة المدينة إعطاء المجموعة حقها في بناء المسجد. واستجابت الإدارة وأعطت لهم الترخيص. ويشهد المسجد

اليوم تجمعات كثيرة ببلدتنا، فهذا هو السلام الذي ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية بين المسلمين والمسيحيين واليهود.

يوجد هناك في بعض الأحيان سوء تفاهم بين الأديان في أمريكا، وفي حالة ما وجد، فإن غياب ثقافة التعايش الديني عند العموم هي سبب جزئي وراء ذلك. والمرء المثقف سيكون سداً منيعاً أمام ذلك، وفي الحقيقة، فإن الإعلام يسعى ويغطي أحداثاً للتفرقة بين الأديان، ولكن كل هذا لا يقدم صورة واقعية عن التعدد الديني في أمريكا.



قبل الانتخابات التي شاهدها دولتي في نوفمبر الأخير كان هناك موقف شعبي معارض لمركز 51 للجماعة الإسلامية وغرفة الصلاة المشتركة بين الأديان المقترح بناؤهما بجانب مركز التجارة العالمية، وكان هناك من سكان نيويورك من رفض المشروع بغير علم، وتفاقت الاحتجاجات بسبب تدخل السياسيين الذين كانوا يسعون إلى ربح الأصوات. وقد ركز الإعلام على المحتجين وتجاهل بيانات آلاف المنظمات المسيحية واليهودية في نيويورك التي تساند بناء مسجد المسلمين.

قام خَلْفِي السابق بعمان - ميشيل بوس - بتعاون مع الكنائس الكاثوليكية بمدينة نيويورك بدفع مقابل مادي لجريدة نيويورك تايمز؛ لكي تخصص عموداً يدعم بناء المركز/51؛ فنحن جميعاً مع أمر عيسى: «فليحب بعضنا بعضاً» ولدينا قناعة مشتركة لتحقيق السلام مع كل الناس (جون 13، 34 و Hebrews 12، 14). وعلى هذا الأساس نحن - كمجتمع مؤمن - نقدّم هذه التعاليق حول المعارضة التي ولدها اقتراح بناء مركز إسلامي في منهاتن.

نحن نعيش في عالم يتميز بالتنوع بفضل الله، وتعدّ مدينة نيويورك وضواحيها مكان التعدد الثقافي والديني، وطبيعة الدين المسيحي تفرض علينا احترام كل الناس، والسماع لمختلف الآراء، والتعاون مع الذين يبحثون عن السلام والخير لمجتمعنا.

أولاً، نحن ندعو إلى الحوار المدني الذي يضمن احترام حقوق كل الناس، ونتعهد على أنفسنا بملازمة الأماكن والدروب التي يتعزز فيها الحوار والتعاون بين الأديان في كل أرجاء المدينة وخارجها، وندعو الذين يريدون استغلال هذا الوضع لخدمة أجنداتهم الشخصية - من خلال خطاب ديماغوجي واحتوائي للآخرين - إلى التوقف عن استعمال اللغة المنمقة والطنانة وفتح آذانهم وقلوبهم للجميع. كما نلزم أنفسنا ونحث الآخرين

على تعلم المزيد عن الإسلام. وإن كانت هذه المعارضة قد كشفت عن شيء، فهو سوء فهم للدين الإسلامي، ولنزوم أنفسنا ونحث الآخرين على بناء علاقات مبنية على الثقة.

من نكون؟ وكيف ننتع؟ فنحن نجسد صورة حقيقية للتنوع الثقافي والتسامح الديني، ونحن في موقع يمكننا من أن نتعلم بعضنا من بعض، ونتعلم - بغض النظر عن العرق، والدين، والثقافة، والظروف السسيواقتصادية - أن نكون مخلصين لمدينتنا.

لهذا نلتزم بالعمل مع منظمي بارك 51 ومع كل الجهات المسؤولة من أجل خطة جديدة بالنسبة لقاطني المدينة ولكل الأمريكيين، والمُضي قدماً من أجل مستقبل جديد، يقود فيه الحوار المدني إلى التفاهم والتخلص من مخلفات الماضي.

يعدّ هذا التصريح للكنيسة الكاثوليكية بأمريكا - رغم أنه لم يتم نشره بكثافة في الأوساط الإعلامية - واحداً من بين التصريحات المعبر عنها من طرف كل منظمة مسيحية ويهودية بنيويورك.

شهد شهر أغسطس الأخير تغطية إعلامية غير مسؤولة لقس كان على ضلال ينتمي إلى طائفة دينية بفلوريدا حاول إحراق نسخ للقرآن الكريم، وخلال هذا الحدث كذلك قامت الطوائف المسيحية في كل أرجاء البلاد بشجب القس وعمله اللارباني.

أصدر السكرتير العام للكنيسة البروتستانتية في أمريكا Rev. Dr. Wes Granberg Michaelson بياناً يردّ فيه على مخطط الرجل بفلوريدا. كان بُرجا مركز التجارة العالمي في مركز المستعمرة الهولندية القديمة بأستردام الجديدة التي تبعد بحوالي مائة قدم عن مكان الكنيسة البروتستانتية الهولندية فيما سيصبح بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عانى



أعضاء الكنيسة البروتستانتية من جراء هذا الهجوم، في حين أسرع الأفراد الآخرون لمساعدة الأفراد الذين فقدوا أحبائهم في ذلك الصباح الرهيب. كلما تذكرنا هذا اليوم الرهيب من حياتنا بالكنيسة، نعلم ونتيقن أن مجموعة الإرهابيين هذه الذين هاجموا دولتنا في ذلك اليوم ليست لهم أية صلة بالإسلام على الإطلاق، ولا يمكن الحكم على أي دين من الأديان الكونية من خلال التصرفات المتطرفة للمنتسبين إليه.

في احتفالنا بذكرى هجومات الحادي عشر من سبتمبر، دعونا نشجب كل أشكال التعصب الديني، ورغم كوننا نؤكد أن كل فرد له الحق في التعبير عن أفكاره، فيجب ألا نتغاضى عن إهانة وتدنيس الرموز الدينية للآخرين من أجل التعبير عن رأي معين، وهناك أقلية تهدد بإحراق نسخ من القرآن احتفالاً بهذه الذكرى، ومثل هذا التصرف يعدّ إساءة شديدة، ويتنافى مع كل ما نعرفه عن الدين من تقديم صورة مثالية عن حب الله كما كان قد جسده المسيح عيسى، وهذا إفصاح علني عن حقد شديد، ولن يتم نشر رسالة المسيح ولا تحقيق السلام بالإساءة إلى الأديان الأخرى، و عوض ذلك لتحدث عن الآخرين بموضوعية ونزاهة؛ إذ أنه فقط باحترام بعضنا لبعض يمكن أن نبني العالم الذي نريد أن نعيش فيه.

تعدّ الرغبة الجامعة في تأسيس مجتمعات تهتم بالتعاون والتفاهم بين الأديان في كل أنحاء أمريكا أقوى بكثير من جوانب العنف والكرهية. والصدقة القديمة بين الكنيسة البروتستانتية في أمريكا وسلطنة عُمان التي دامت 118 سنة ستبقى نموذجاً للسلام في العالم والصدقة والحب الذي يعدّ ممكناً بين المسيحيين والمسلمين. وصادقتنا تعدّ رباطاً يتقوى برغبتنا في اتباع تعاليم المسيح عيسى وإعطاء صورة مثالية عن الأخلاق الأمريكية من أجل تعزيز وحماية مجتمع مدني متنوع.